بلاغة الذكر والحذف

محمد حسين ضو بلعيد

كلية اللغة العربية ،الجامعة الاسمرية الاسلامية ، زليتن – ليبيا tawfeek8795@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2021/11/5
وقبلت بتاريخ 2019/1/10
ونشرت بتاريخ 2022/03/13

الكلمات المفتاحية:
البلاغة، الذِّكر، الحذف، الذكر والحذف، المسند، المسند إليه.

ملخص البحث

الحمد لله جعل اللغة العربية وعاءً لقرآنه الكريم، فكان الدرس البلاغي من أهم الموضوعات التي يجب دراستها والوقوف عند أساليبها وأدواتها وجماليات استعمالها ويعد اسلوب الذكر والحذف من الأساليب البلاغية المهمة في الدرس البلاغي لما له من بالغ الأثر في المعني وعلى ذلك جاءت أساليب العرب متناسقة قوية في أداء المعاني فتارةً ترى الكلام قد جاء على نسقه المعتاد وهو أن تساق الجملة مستوفية أجزاءها ،وقد يتغير ذلك بتغير هذا النمط فيحدث في الكلام حذف لأغراض بلاغية فيكون المحذوف إما حرفاً من كلمة، أو كلمة من جملة أو جملة من سياق أو جمل أو فقرات متعددة، ولا يكون ذلك الحذف حذفاً بلاغياً إلا إذا ساعد على الإيحاء بمعان ومشاعر تزيد الأسلوب قوة وتأثيراً، وما جاء ذلك إلا لحكمة مقصودة تتماهى مع السياق وبشكل مدروس ومتقن أعلى درجات الإتقان والرصانة فترى حذفاً لحرف من كلمة ذكرت في سياق بينما تراه قد ذكر في الكلمة نفسها في سياق مغاير، وذلك مما يدل على أن الحذف الذي وقع في كلمة دل على اقتطاع جزء من الحدث وعند ذكره فإنه يعني أن الحدث قد استغرق الفعل وزيادة، وقد يكون الحذف للدلالة على الإيجاز واختصار الكلام وهكذا دواليك أو يكون لغرض دفع السآمة والملل عن المخاطب بما يضفيه من جدة وطرافة فيكون بحذف عديد التفاصيل والاستغناء عنها بمفردة أو جملة قد تستغرق كل ما يريد المتكلم شرحه وتفصيله، ولا يكون ذلك مجدياً إلا إذا ساعد على الإيحاء أو ربط الكلام بعضه ببعض دون أن ينقطع خيط الاتصال الفكري

أن العربية تحوي أنماطا متعددة من الحذف فهي لا تكتفي بالاستكثار (من الحذف ، ولكنها تنوعه أيضاً حتى لو قال قائل : إن العربية هي لغة الحذف ما كان عليه من ذلك بأس"[1]

وأن الحذف لا يحسن في جميع الأحوال ، إذ ينبغي ألا يكون هناك غموضا في المعنى أو فسادا في التركيب، وهذا ما يُؤيده قول ابن مالك في ألفيته :

وَحَذْفُ ما يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا تقول (زَيْدٌ) بَعْدَ (مَنْ عِنْدَ كُمَا)

المقدمة

الحمد لله وحده، أنزل القرآن الكريم على عبده، فقرأه على أحبابه وصحبه، وأذعن له كل من عاداه و نفره، فعلموا أنه المعجزة الخالدة الباقية ،إلى يوم الحشر والقيامة، ثم الصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، القائل فيما رواه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم الله وجهه " ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قال علي رضي الله عنه قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل ،من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ،خذها إليك يا أعور "وقال ابن مسعود

[1] مجمع اللغة العربية ، كتاب الألفاظ والأساليب ، القاهرة: 1977 ص 232.

رضي الله عنه عن القرآن الكريم: {إن هذا القرآن مأدبة القارئ ،فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ،إن هذا القرآن هو حبل الله المتين والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة من تمسك به، ونجاة من اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، فاتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات}.

فلجأ إليه العلماء؛ فوجدوا فيه المعين الذي لا ينضب ،والثروة التي لا تنفد، فيه حكم الأمور كلها ما وقع، وما لم يقع، وأن كل ما فيه حق، وأنه مصلحة الدنيا والآخرة، فما من خبر إلا له أصل في القرآن معتمد ونص يمكن الحمل عليه، فما ترك الله الإنسان سدى، وهو سُبحانه القائل: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [1] .

وإننا إذ نقدم موضوع بحثنا الموسوم بـ{بلاغة الذكر والحذف}لحريُّ بنا أن نرشد القارئ إلى أن أهمية هذا الموضوع تأتي أولا من كونه يعالج قضية بلاغية اهتم بها علماء البلاغة منذ القدم ، كما أن بعضاً منه جاء خادماً لكتاب الله العزيز وتلك بغية كل باحث ولهٍ بكتاب الله مهتم بعلومه وكفى بها أهمية وأكرم به هدفاً وغاية.

وهذا البحث المُتواضع يقع في دراسة أصل الجملة من حيث تقديم المسند وتأخير المسند إليه في الجملة الفعلية، وأما الأصل في الجملة الاسمية أن يقدم المسند إليه وهو المبتدأ، ويتأخر المسند وهو خبر الجملة الاسمية وقد يحدث في الكلام ما هو مخالف لحقيقة هذا النسق، وهذا النمط المألوف في الجملة الاسمية أو الفعلية، وما يعتريها من تقديم أو تأخير أو ذكر أو حذف ،والتشابه كبير بين السياقات، حين حذف المسند أو حذف المسند إليه، وذلك ما يؤكد تداخل السياقات في الحذف عموماً، ويمكن تلخيص ذلك في الاحتراز عن العبث بالاستغناء عما لا ضرورة لذكره كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم منْ خلقَ السمواتِ والأرْضِ لَيَقولُنَّ اللهَ﴾ [2] أي خلقهن الله ،مع العلم أن الأصل في بناء الجملة والنمط المعتاد فيها، أن تساق مستوفية أجزاءها، سواءً كانت فعلية أم اسمية، ولكن قد يحدث في الكلام حذف لأغراض بلاغية، فيكون المحذوف؛ إما حرفاً من كلمة كما يرد أو كلمة أو جملة أو جملاً أو فقرات متعددة، وإن الحذف البلاغي لا يكون حذفاً بلاغياً إلا إذا ساعد على الإيحاء بمعان ومشاعر تزيد الكلام قوة وتأثيراً، وأمكن مع ذلك ربط الكلام ببعضه دون قطع لخيط الاتصال الفكري فيه، وسوف يكون القرآن الكريم ميداناً لهذه الدراسة، وكذلك الإشارة إلى أنني سوف أتطرق من حين إلى آخر إلى بعض أساليب العرب الواردة في شعر الشعراء، لأبين وأشير إلى أن القرآن جاء ونزل بلغة العرب، وكذلك فإن حديث رسول الله ﷺ سيكون موضوعاً لهذه الدراسة، كُل ذلك في مطلبين هُما :

المطلب الأول : حذف حرف من كلمة.

المطلب الثاني : حذف كلمة من جملة.

ولا بد لي من أن أشير إلى أن النصوص القرآنية، التي سيتم التطبيق عليها لم يكن باختيار أو انتقاء وإنما جاءت الآيات هكذا بعشوائية لأن القرآن هو في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة، وأنه في درجة واحدة من السمو والرفعة، لا سيما وأنه كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، فنحن لا نتخير، وذلك يدل على أعلى درجات إعجازه وبيانه، ثم التدرج يقودنا لتناول حديث رسول الله ﷺ ويأتي كلام العرب في الدرجة الدنيا، وستكون أداة الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ما أمكن الباحث ذلك، وأسأل الله التوفيق والمعونة، داعياً اللهم يسر وأعن ،وما توفيقي إلا بالله .

---

[1] سورة الأنعام ، الآية 38.

[2] سورة الزمر ، الآية 38.

المطلب الأول

حذف حرف من كلمة

الأصل في بناء الجملة العربية أن تساق مستوفية أجزاؤها سواءً كانت الجملة اسمية أم فعلية، إلا أنه قد يحدث في الكلام حذف لأغراض بلاغية، ويمكن أن تتبين ذلك من خلال ما سيرد لك تباعاً من أمثلة، كما أنك ستلاحظ روائع البيان القرآني المعجز من خلال ما يتصرف به من حذف لبعض الحروف من بعض الألفاظ ويذكره في موضع آخر، والذي ينبغي الإشارة إليه هو أن الحرف الذي يحذف لم يكن بشكل عشوائي أو غير مدروس ،وبالمقابل فإن ذكر الحرف لم يكن مصادفة أو عشوائياً أيضاً، وإنما جاء الحذف أو الذكر لحكمة مقصودة تتماهى مع السياق، فالحكم للسياق في الحذف وأثناء الذكر. والقرآن الكريم درج على أن يحذف حرفاً أحياناً من الفعل الذي هو الحدث وذلك للدلالة على أن الفعل أقل من الحدث، بينما يذكر القرآن الحرف في نفس الفعل في سياق آخر، وذلك للدلالة على أن الحدث استغرق الفعل وزيادة، أو للدلالة على أن زمنه أوسع، إذن فالاقتطاع من الفعل للتدليل على الاقتطاع من الحدث.

وقد يكون السياق أحياناً في مجال الإيجاز واختصار الكلام، فيوجز القرآن الكريم في ذكر الفعل؛ فيقتطع من الفعل حرفاً من حروفه، أما إذا كان السياق في مجال الشرح والتفصيل؛ فيذكر الفعل بكامله وجميع حروفه[1] وذلك مراعاة منه للتوازن الدقيق وهو ما يتحقق به الإعجاز القرآني الباهر، ومن ذلك قول الحق عز وجل في محكم التنزيل في سورة الكهف في معرض الحديث الدائر بين الخضر وموسى عليهما السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-،عندما عزم الخضر -عليه السلام- على تأويل ما فعل ،أمام نظر موسى -عليه السلام-، قال تعالى﴿هذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[2] ، فوعده موعدة ليؤول له كل ما قام به، معللاً استعجال موسى وإنكاره لها فقال {ما لم تستطع}بإثبات التاء والطاء في الفعل{تستطيع} ،وعندما كرر الفعل في الآية الثانية ذكره مجرداً من حرفين من حروفه فقال ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [3]، ذلك في سياق الاختصار والإيجاز، فحذف حرفاً من الفعل الذي ذكره بكامل حروفه في الآية الأولى والفعل واحد في الآيتين، وذلك لأن السياق الأول في إطار الشرح مما يعد تساوقاً مع الأفعال المثيرة الثلاثة، فبدت على موسى -عليه السلام- الدهشة والاستغراب، وقد تحمل هماً نفسياً وشعوراً ثقيلاً مما رأى من أفعال الخضر المناقضة للفطرة السليمة على رأي موسى -عليه السلام- لأنه لا يعلم بخفايا الأمور وحقائقها، ولا بالحكمة منها ومن إثارتها، وعلى ذلك راعى القرآن الكريم المعجز الثقل النفسي الذي يعيشه موسى -عليه السلام- إذ حاول تفسير هذه الأمور كما حاول أن يضعها في نصابها، فوقع جراء ذلك في هم وثقل نفسيين كبيرين، فناسب حالته استعمال الفعل (تستطيع) بثقله البنائي وبذكره حروف الفعل كاملة، وبالأخص حينما ذكر الحرفين التاء والطاء قريبي المخرج مما يشكل ثقلاً يوازي ذلك الثقل النفسي الذي اعترى موسى -عليه السلام- فأتى بالفعل خفيفاً في النطق والاستعمال بحذف بعض حروفه، وعندما أتت الانفراجة بشرح وتأويل الخضر لما قام به من أفعال أذهلت موسى -عليه السلام-؛حيث ذكر الله -عز وجل- ففي سورة الكهف ثلاثة أفعال هي: خرق السفينة، ثم قتل الغلام ،ثم بناء الجدار، ثم أعلن الخضر مفارقة موسى عليه وعلى الخضر السلام، بعد أن بين له الحكمة من الأفعال الثلاثة، ثم بعد ذلك حكى القرآن ما قاله الخضر لموسى – عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام- ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [4]، ولعل سؤالاً يرد على أذهاننا مفاده: ما حكمة إثبات التاء والياء عندما ذكر

---

[1] ينظر د/ فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار،عمان،1999م

[2] سورة الكهف ، الآية 78.

[3] سورة الكهف ، الآية 82.

[4] سورة الكهف ، الآية 78.

(تستطيع) والفعل واحد في السياقين؟، وعندما ذكر الفعل نفسه في السياق الثاني أثبته بدون تاء فقال (تسطع) مما أدى إلى تخفيف النطق بالفعل، والذي نقصت حروفه من الستة إلى الأربعة، بمعنى أوضح أن تلك الغمامة وذلك الثقل والهم الذي عانى منه سيدنا موسى -عليه السلام- قد انجلى كله وأصبح خفيفاً فناسبه حذف التاء مما أدى إلى خفة النطق بالفعل (تسطع)،فانشرح صدر موسى -عليه السلام-،وهدأت نفسه الثائرة، بعد معرفته للحقيقة التي صرح بها الخضر -عليه السلام- عقب تعجب موسى مما فعل، فوصلت الفكرة إلى موسى -عليه السلام-،وتبين أن الخضر -عليه السلام- على حق فيما فعل، ولذلك ذهب الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي إلى القول بأن (بالإمكان تسمية التاء المحذوفة من (تستطيع) بتاء الخفة)[1] ، وحيث أننا تحدثنا فيما مضى عن حذف حرف من حروف الكلمة، وتبين الغـرض منه.

ذكر حرف في كلمة بعد حذفه:

وقد يحدُث أن يُذكر حرف في كلمة بينما حـذف منها قبل ذلك أي عند ذكر الفعل(الحدث)، وذلك ما نلحظه عند قرائتنا للآية الكريمة من سورة الكهف، وهي الآية 97من السورة المذكورة، التي يقول في محكمها المولى سبحانه حكاية عن السد الذي بناه ذو القرنين، فاصلاً وحاجزاً ليأجوج ومأجوج ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نقباً﴾ [2].

فالقرآن الكريم رصد تلك المحاولات التي قام بها أولئك القوم من يأجوج ومأجوج من محاولات لتسلق ذلك السد والظهور عليه أو محاولة نقبه وإحداث فتحة فيه، حتى يتمكنوا من حفره وإزالته، فأثبت التاء في الفعل عندما ذكره في المرة الثانية، بينما حذفها منه عندما ذكر الفعل في المرة الأولى فقال {اسطاعوا}وقال عند ذكره للمرة الثانية {استطاعوا}فمعنى الجملة الأولى عدم استطاعة يأجوج ومأجوج تسلق ذلك السد الذي بناه ذو القرنين وكذلك عدم استطاعتهم الصعود عليه، وباءت جميع محاولاتهم بالفشل؛ لأن السد ناعم خالٍ من جميع ما يساعد على التسلق والصعود من نتوءات ومقابض، حتى يتمكن من أراد تسلقه والظهور عليه، ذلك كله مع ما ينبغي من الذي يريد الصعود أن يكون خفيفاً ذا رشاقة ومهارة، لأن الشخص كلما كان خفيفاً رشيقاً؛ كان أقدر على تسلق السد والظهور عليه، وكأن معنى الفعل يزداد ثقلاً وصعوبة، كلما أثبتت تاؤه، كما أنه يزداد خفة ورشاقةً؛ كلما حذفت تاؤه، وبذلك يكون الفعل مصاحباً لمعنى السياق من حيث الخفة والثقل، والسهولة والصعوبة، فكل ما يعتري الإنسان من ثقل وهمٍ ماديٍّ ونفسيٍّ وزماني ومكاني جملة عبر عنه بالفعل المستعمل {استطاعوا}بما يوحيه من ثقل ومشقة، ولذلك جاء الفعل متماهياً مع السياق في كلا الحالتين خفة وسهولة، أو ثقلاً وصعوبة[3]، وذلك ما تشعر به عند قراءتك لقول الشاعر القديم من سهولة ويسر عندما قال :-

إِذَا كُنْتَ لَا تَسْطِيعَ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرها بِمَا مَلَكَتْ يَدي[4]

فذكر الفعل {تسطيع}محذوف التاء لحكمة وهي الخفة والسهولة والمحافظة على الوزن؛ لذلك جاء الفعل خفيفاً متساوقاً مع متطلبات الجملة المعنوية واتساق معانيها وجاء الوزن كذلك، وهنا لابد من الإشارة بأن هذا الحذف والإثبات بالذكر لم يكن هكذا دون حكمة، وفق هوى المتكلم، بل جاء وفق ما يقتضيه السياق المحكم في الجملة والمعنى المراد لحكمة أسلوبية بيانية، ولا يتم إلا بدقة متناهية ،وبها يتحقق الإعجاز البياني، ولمزيد البيان نقرأ قول الله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [5]، فخاطب الله سبحانه وتعالى الأمة المسلمة الواحدة آمرًا لهُم بالوحدة والاجتماع وعدم التشرذم والتفرق، ولهذا السبب جاءت الكلمة {تفرقوا}بإثبات تاء واحدة منها، مناسبة لمعنى السياق، أما إذا نظرنا إلى

---

[1] د/صلاح عبد الفتاح الخالدي، لطائف قرآنية، دار القلم، دمشق 1992ص/52وما بعدها.

[2] سورة الكهف ، الآية 93.

[3] ينظر : د/فاضل السامرائي، التعبير القرآني ص/75

[4] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، ت: سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1989م، ص 21 .

[5] سورة آل عمران ، الآية 103.

الاستعمال الذي اعترى الفعل في آية سورة الشورى التي جاءت متضمنة لنفس الفعل في قوله عز وجل﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [1]،فأثبت التاء في هذا الفعل وهو {تتفرقوا}من الأفعال الخمسة، وحذفت نونه لوقوعه مجزوماً بلا الناهية، وهنا أثبتت التاء مناسبة لذلك التعدد الذي ساقته الآية، وقد تعدد زمان أمم الرسل المذكورين في الآية وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام [2]. فناسبه إثبات التاء في الفعل {تتفرقوا}ليدل على التتابع والاستمرار لمدة أطول، والقاعدة تقول:إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وتعدد التاء اتجاء منسجماً مع السياق، باعتبار تعدد الأمم التي ذكرها في صدارة الآية، ثم إن التاء تعتبر زيادة في المعنى الذي هو عدم التفرق وحرمته؛ وإشارة إلى أن الدين الموحد هو دين محمد ﷺ وهو المعني في هذا السياق والله سبحانه أعلم بمراده وليس أدل على ذلك من قول الباري عزّ وجلّ قبل هذا﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [3]، وقوله بعد ذلك ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [4].

فالسياق القرآني يدعو إلى الوحدة وعدم التشتت والفرقة والاجتماع على دين واحد، أما سياق الآية في آل عمران، فهو يتحدث عن أمة محمد فقط دون غيرها من الأمم، فجاءت الصيغة بتاء واحدة{ولا تفرقوا} ؛إذن فالله وحده هو الحكم وهو العليم باختيار حروف اللفظ الواحد، للسياق وما يناسبه من معنى، وعلى ذلك تحذف أحياناً، وتذكر أحياناً أخرى، وهذا التصرف مقصود لذاته ولإظهار المعنى المراد، ولا يتم إلا بأعلى درجات الدقة والتوازن.

ومن هذا القبيل أيضاً قول الله عز وجل ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [5]، فلاحظ الفرق بين إثبات النون وذكرها هنا وبين حذفها من الفعل المنفي نفسه في قوله ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [6]، فحذفت هنا مناسبة للمعنى الذي هو حذف الضيق والحزن من قلب الرسول ﷺ كما حذفت نون الفعل في قوله {أولئك}تسلية لرسول الله ﷺ، وتخفيفاً وتجلية للهموم عنه وتسلية له.

وإذا ما انتقلنا إلى مثال آخر عن الذكر والحذف؛ قال سبحانه وتعالى في سياق الذكر:﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [7].

فإذا قارنّا بين الفعل في هذه الآية بثبوت حرف الياء{ما نبغي}وبينه في سياق آخر وهو سياق آية في سورة الكهف التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [8]،فحذف الياء من الفعل وذلك لحكمة يعلمها الباري عز وجل وهي قد جرت على الأصل، بإثبات الياء في آخر الفعل وتلك دلالة على أن ما أراداه بل ما أراده موسى - عليه السلام- وهو الرجوع إلى ذلك المكان الذي اتخذ الحوت فيه نفسه نحو البحر بعد أن أرجع إليه الله روحه وبث فيه الحياة من جديد وسرى الدم في عروقه، فحمل نفسه في غفلة منهما أي موسى وفتاه وسلك طريقه في البحر سرباً، وذلك محل عجب موسى وفتاه! وهو كيف أن الحوت وهو الذي شوي على النار، تدب فيه الحياة ويرجع إلى البحر؟ وهما في غفلة عنه بسبب سنة من النوم بعد التعب والمشقة، وبما أن إثبات الياء في الفعل الذي ورد في سورة يوسف قد جرى على الأصل، والأصل في رحلة أبناء يعقوب هو التزود من الميرة وحصول مبتغاهم من الطعام[9] قال تعالى:﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا

---

(1) سورة الشورى ، الآية 13.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ج4، ص 109.
(3) سورة الشورى ، الآية 13.
(4) سورة الشورى ، الآية 14.
(5) سورة النمل ، الآية 70.
(6) سورة النحل ، الآية 127.
(7) سورة يوسف ، الآية 65.
(8) سورة الكهف ، الآية 63.
(9) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، ج9، ص 222، 234.

بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [1]، أما ما جاء في سورة الكهف وهو حذف الياء من الفعل{ نبغ} فإن أسئلة تتوارد على الذهن لابد من ذكرها مفادها هل كانت الإشارة في قوله{ذلك ما كنا نبغ}إلى الرجوع لذاته أم إلى شيء آخر؟ وهو لقاء موسى الخضر عليهما السلام، ما المقصود من الرحلة أساساً؟ وهل كان الرجوع إلى الصخرة هو الهدف فقط أم لهدف في ذهن موسى عليه السلام ؟وهل كانت إرادة موسى عليه السلام متعلقة بالمكان ذاته؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول مجملين القول: إن رجوع موسى من المكان الذي وصل إليه بعد الراحة التي قضاها عند الصخرة، إنما المراد لقاء الرجل العالم وهو الخضر، وهو المقصود من الرحلة أساساً، يضاف إليه أن المكان لم يكن مراداً لذاته وإنما المراد الاجتماع بالخضر والنهل من علمه، بدليل أنهما عندما رجعا، وجدا الخضر عند الصخرة ينتظره، وهي الغاية المراد تحقيقها، وكل ما حدث لهم وتعرضوا له ما هو إلا وسيلة لتحقيق الغرض والهدف، فحذفت الياء من الفعل {نبغ}للإشارة إلى أن إرادة المكان لذاته إرادة ناقصة، وبغية هروب الحوت ولواذه بالبحر لم يكن مقصوداً ومبتغاً لذاته، إذن فقد وافق حذف الياء السياق الناقص من تلك الرحلة؛ وإنما اكتملت الرحلة بلقاء موسى عليه السلام والخضر عليه السلام، وبهذا يكون الحذف قد أدى دوره في بناء المعنى، كأفضل ما يكون.

المطلب الثاني

حذف كلمة من جملة

الأصل في الكلام أن تذكر أجزاؤه التي تؤدي معناه تاماً ودون حذف أو نقصان، وقد يأتي الحذف لغرض بلاغي والمحذوف كلمة من جملة، سواء أكانت فعلية أم اسمية، ولكن قد يحدث في الكلام حذف لغرض بلاغي، ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَم أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [2]، فمن خلال قراءة الآية تلحظ أن الفعل بني للمجهول وحذف فاعله في الشق الأول من الآية، عندما تحدثت عن الشر، فقال ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ثم ذكر في الشق الثاني منها؛ فقال ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فما هي الحكمة من ذلك؟ والحكمة من ذلك أن الفاعل لم يذكر مع ذكر الشر تنزيهاً له سبحانه وتعالى وإعلاءً لشأنه، فبني الفعل للمجهول، وحذف الفاعل إجلالاً لشأن الله، كما أن الشر عادةً يكون مصدره الإنسان نفسه بما يرتكب من آثام ومصائب، وقد تحدث القرآن عن ذلك في قوله عز وجلَ ﴿ظَهَرَ الْفَسَاد فيِ الْبَرّ وَالْبَحْر بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس﴾ [3]، وتأسيساً عليه فإن الشر مصدره الإنسان أما الخير وإرادته فهو من الله لذلك ترى القرآن ذكر الفاعل، وبني الفعل للمعلوم، في قوله عز وجل ﴿أَم أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فالرشد هو التعقل والتأني، وهو ما يأتي معه الخير والسداد وصالح الناس أجمعين.

ثم ننتقل إلى الآية الثانية، وهي قوله عز من قائل عليماً﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [4]، ويتضح عند قراءة هذه الآية أن المحذوف هو المفعول به للفعلين(نسمع أو نعقل)والتقدير لو كنا نسمع شيئاً، حتى كأنهم لا يسمعون شيئاً، ولايعقلون شيئاً ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [5] ، ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [6]،فحذف

---

[1] سورة يوسف ، الآية 63 ومابعدها.
[2] سورة الجن ، الآية 10.
[3] سورة الروم، الآية 41.
[4] سورة الملك ، الآية 10.
[5] سورة البقرة، الآية 171.
[6] سورة الفرقان ، الآية 44

مفعولي نسمع ونعقل أبلغ في الدلالة على المراد وأشمل؛ فهم لم يسمعوا الدعوة إلى الإيمان سماع وعي وتدبر، ولم يفكروا في البراهين التي قدمت لهم وتمسكوا بكفرهم وعنادهم، وبذلك استحقوا نار جهنم وسعيرها. وإذا تأملنا قول الله جل وعلا ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1]، وقد بدأ الآية وصدرها بالاستفهام بالهمزة، منكرا لما يقولون به من أفعال تضر ولا تنفع، والتي من بينها عبادتهم آلهة غير الله، وقد حذف الجملة الشرطية، وتقديرها: إن أرادوا ولياً بحق فالله هو الولي، وكم كان جميلاً هذا الحذف، وعندما ذهب العقل إلى جواب الشرط واهتدى إليه فكان في القلب متمكناً أمكنا وهو جملة {فالله هو الولي}معرف الطرفين بالألف واللام وبينهما فاصل وهو ضمير الفصل{هو}،وذلك لإفادة القصر وهو قصر الولاية على الله وحده، ونفيها عما سواه.

وإذا ما انتقلت إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2] ، إذا قرأت هذه الآية الكريمة من كتاب ربنا بتأمل لاحظت أن هناك حذفاً لجواب لو وهو جملة، أي أن المحذوف جملة وليس كلمة، ويكون المعنى على ذلك؛ ولو تراهم حين يوقفون على النار، ويدركون شدة عذابها، وهم في تلك الحالة يتمنون_ من هول ما رأوا _ أن لو عادوا إلى الدنيا، لتتاح لهم فرصة التصديق والإيمان، بحيث لو اطلع على حالهم أحد لرأي أمراً هائلاً رهيباً، وقد أدى الحذف دوره؛ من حيث بلاغة الدلالة، لما له من إتاحة الفرصة للذهن أن يذهب عند تصوره لهول الموقف كل مذهب، وكأنه شيء لا يُحَدُّ ولا يحيط به الوصف شدة هولاً، ليدرك المخاطب مدى دقة القرآن المتناهية في صياغة جملة وسبكها، وللإشارة إلى الذكر مقصود لذاته، وأن الحذف مراد أيضاً، وهو الأمر الذي يتحقق به الإعجاز البياني ومن ذلك قول الحق عز وجل في سورة النساء ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[3]ثم بالنظر إلى سورة الإسراء تجده سبحانه جل شأنه يقول ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [4] ، فإن القارئ للآيتين يجد أن كلمة حذفت من السياق في الآية الثانية وهي آية الإسراء بينما ذكر الباري عز وجل في آية النساء وفي معرض حديثه عن نكاح زوجة الأب فوصفته الآية الأولى بأنه فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، بينما وصفت الآية الثانية الواردة في سورة الإسراء الزنا بأنه فاحشة وساء سبيلاً، ولم تزد عليه، فما الحكمة من ذلك؟

إجابة على هذا التساؤل نرجع إلى ما قاله الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات؛ الذي نجده يقول :"المقت هو البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح يقال: مقت مقاتة فهو مقيت.....وكان يسمى تزوج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت[5] والقرآن الكريم في سموه ورفعته نزل بلغة العرب، فوصف نكاح زوجة الأب بالمقت، إضافة إلى وصفه بأنه فاحشة، وذلك من باب المبالغة في ذمه والتنفير منه، ومرتكبه القادم عليه، هو في حقيقته فاعل رذيلة، يمقت فاعلها، ويشنأ، وتستخسه الطباع السليمة، ولذلك وصفت فعلته بالمقت. وساوت الزنا بما هو وراء ذلك من الأفعال المستقبحة ، فلهذا زيد في آية سورة النساء[6]لفظ المقت، أما عن عدم ذكره في سورة الإسراء فلأن الطباع السوية والفطر القويمة تمج الزنا ولا ترضاه ولا تقبله، ولذلك لم يكن بالضرورة ذكره ولم يكن هذا الفعل شائعاً في ذلك الوقت كما هو الحال أيان الحقبة التي تحدثت عنها سورة النساء وقد حاج به النبي ـﷺ -، ذلك الشاب الذي أتاه راغباً طالباً منه أن يبيح له الزنا فرد رسول الله صلى عليه وسلم بقوله:" أترضاه لأمك؟ أترضاه لأختك؟ أترضاه لأبنتك ؟ فيرد الشاب بأنه لا يرضاه لهن وذلك دليل على أن الفطرة السليمة

---

[1] سورة الشورى، الآية 9.
[2] سورة الأنعام، الآية27.
[3] سورة النساء ، الآية 22.
[4] سورة الإسراء، الآية 32.
[5] الأصفهاني ، المفردات ، ط دار القلم ،دمشق 1992م ، ص 20 .
[6] أحمد بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ت:د/محمود كامل أحمد / ط: دار النهضة بيروت 1985م

والسلوك السوي يأبى هذا الفعل المقيت ولا يرضاه فجاءت الآية في سورة الإسراء دون ذكره اكتفاءً بمقت الناس له، أما ما يتعلق بزواج زوجة الأب، فذلك كان شائعاً في الجاهلية، ولايرونه قبيحاً وممقوتاً، فلما حرمه الإسلام، وبالغ في ذمه وتقبيحه، والتنفير منه؛ زاد في وصفه بأنه {مقت}.ثم نورد مثالاً آخر على الذكر والحذف؛ وهو قول الحق جل شأنه في سورة التوبة:﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، وبالرجوع إلى الآية رقم (95) من نفس السورة نجد القرآن يقول:﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [2] ، وبقراءة الآيتين في سياقيهما؛ يتضح أن السياقين مختلفان فسياق الآية الأولى، كان في الحديث عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك غزوة العسرة، عندما هم الرسول ﷺ بالذهاب إلى الغزوة أمر أصحابه بالتهيؤ والاستعداد، هناك أناس اعتذروا بأعذار مكذوبة، القصد منها تصديق المؤمنين لهم في أعذارهم التي قدموها، وهي في قمة النفاق والتخاذل، فأظهروا خلاف ما يبطنون، وهو النفاق بعينه، فقال الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [3] الآيتان ناسبهما الكتمان، وعدم البوح بما هو ماثل أمامكم، إنما الحديث عن تلك الكذبة التي لم يذكروا الحقيقة البتة. أما سياق الآية الثانية، فقد كان في سياق الحديث عن المؤمنين الصالحين، ووجهت لهم الدعوة للمزيد من العمل الصالح، فعد أعمالهم الصالحة كما ذكر ذلك في قوله عز شأنه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [4] ' فالسياق واضح لا لبس فيه بأن السياق الأول في مقام التحدث عن الهم والحزن والبعد عن دين الله وأن المراد في الأولى أولئك المنافقين الذين تحدثوا وأظهروا ما يخالف ما في نفوسهم، فانطوت القلوب على النفاق والشقاق، أما الآية الثامنة فقد تحدثت عن المؤمنين وكل ما يقومون به من أعمال صالحة فناسبهم ذكر المؤمنين، وهم الذين يقومون بهذه الأعمال مثل الصدقة والدعاء لهم ثم قبول التوبة منهم ،وأن الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقات من عباده، فناسب ذلك كله ختامه بقوله ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [5] والله سبحانه وتعالى أعلم.

حذف كلمة من جُملة:

أي حذف كلمة من جملة، حذف يتعلق بركن من أركان الجملة، مثل حذف الفاعل وقد تطرقنا إلى ذلك في صفحات تقدمت، أو حذف المفعول به، كذلك الحذف الذي وقع في الآية الكريمة من كتاب الله عز وجل، كما في قوله تعالى شأنه ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [6]، هذا النص الكريم وقع الحذف فيه للمفعول به مع الفعلين المذكورين عندما قال (لو كنا نسمع) حكاية على ألسنتهم أي نسمع شيئاً ما بمعنى لو كنا نسمع أي شيء، ولكننا أصبحنا صماً لا نسمع شيئاً إطلاقاً أي عميت عليه الأمور، فلا يدرون مما حولهم شيئاً؛ فحذف مفعول الفعل نسمع وهو شيئاً للدلالة على معنى

---

[1] سورة التوبة ، الآية 106 .
[2] سورة التوبة ، الآية 95 .
[3] سورة التوبة ، الآية 94 ومابعدها .
[4] سورة التوبة ، الآية 103 ومابعدها .
[5] سورة التوبة ، الآية 105 ومابعدها .
[6] سورة الملك ، الآية 10 ومابعدها .

أشمل، وهو أسلوب في أعلى درجات البلاغة والبيان، ثم زاد في عدم علمهم أو صدودهم عن الذكر الذي ترتب عليه أنهم أصبحوا من أهل السعير، زد على ذلك أنهم منعوا عقولهم عن التفكير والتعقل والتأمل، فأصبحت عقولهم كالحجارة بل هي أشد قسوة؛ بدليل أنهم نفوا أن تكون لهم عقولاً فحذف المفعول به وهو {نعقل شيئاً}بتمريره على عقولنا هذا إذا كانت حاسة السمع تعمل ،إلا أنها معطلة فهي أداة من أدوات الإدراك، وبالتالي فإن الأداة إذا ما تعطلت تعطل العقل أيضا، ونتيجة ذلك أنهم أصبحوا من أصحاب السعير، فالتعبير بالحذف أبلغ من التعبير بالذكر، ولذلك كانت الدلالة أبلغ في الوصول إلى المراد، وهي كذلك أشمل بما دلت عليه من حرمانهم حاسة السمع وترتب عليها حرمان العقل تماماً، هذا فيما يخص الكلام السامي وهو كلام ربنا جل في علاه، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، معنى ذلك ولو تراهم وقوفاً على النار ويدركون شدة عذابها، وهم يتمنون_ من هول ما رأوا_ أن لو عادوا إلى الدنيا، وأتيحت لهم فرصة الإيمان والتصديق بما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه ؛ لرأيت أمراً مهيباً هائلاً جعلهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا والتصديق بآيات الله والإيمان بالحق ،فالحذف هنا جاء لجملة وهو حذف جواب لو، وقد كان له بالغ الأثر في نفوس سامعيه، فذهبت نفوسهم كل مذهب لتصور ذلك الموقف فأضفى على الجملة جمالاً وروعة، مع اعتبار ذلك الحذف الذي طرأ على الجملة في جواب لو.

وتراه – أي الحذف - ماثلاً أيضاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [2]، فبالرجوع إلى الآيات وقراءتها قراءة متأنية، مصحوباً بالتأمل؛ نلاحظ أن المولى سبحانه وتعالى حذف العديد من التفاصيل والمواقف، وما ذلك إلا لشد الهمم واستثارة العقول للتفكر والاعتبار. وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات بدعوته لإعمال الفكر والتحليل للوصول إلى الحقائق، والاقتناع بما تم سرده وتوضيحه، ففي ما تقدم من الآيات سرد لقصة موسى عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام، فإذا ما أمعنت النظر وجدت أن الآيات الكريمة أتت بالأحداث البارزة وهي تحث الذهن إلى الربط بينها بتفاصيل كثيرة، معروفة من القصة فإذا ما تحولت إلى قوله عز وجل ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ لرأيت أن القرآن عبر بقوله {اليم}واليم، هي كلمة عبرية ناسبت القصة والبيئة التي نبتت فيها، وهي بيئة عبرية، والخطاب جاء متماهياً مع القصة بأحداثها وألفاظها وجوها النفسي ،ثم تحول معي إلى الآية التي بعدها، التي يقول فيها ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ففي لحظة تأمل تجد أن تفاصيل كثيرة قد حذفها القرآن، ولم يذكرها من بينها أن أم موسى أرضعت ابنها لكي يبقى رياناً شبعاً فترة من الزمن، هي لا تدري أطويلة أم قصيرة يكون الطفل خلالها مرتاحاً، ثم بعد ذلك هيأت له التابوت ووضعته فيه، ثم ألقت التابوت في اليم، وحمله التيار إلى الوجهة التي يريدها خالقه {الله}متوجهاً إلى فرعون وقصره، ثم سخّر الله له من يلتقطه وهو في ذلك محاط بالعناية الإلهية ومشمول بها تحميه من بطش فرعون وجنوده وأعوانه ،لأن فرعون كما هو معلوم من سياق الآية أمر بقتل كل مولود ذكر يولد في ذلك الزمن، وقدر الله أن يربي فرعون من كان سببا في خوفه وخشيته وهو موسى –عليه السلام-،وهو دليل على قدرة الله وقوته اللامتناهية ومشيئته النافذة ، وزاد على ذلك بأن هيأ له الرجوع إلى أمه كي تقر عينها، بأن تقدمت أخته تعرض عليهم من يقوم برعايته وكفالته ، فدلتهم على أمه ، والحال أن وفرعون وعماله وحجابه وحذفه لا يعلمون من ذلك

[1] سورة الأنعام ، الآية 27 ومابعدها .
[2] سورة طه، الآية 36 ومابعدها .

شيئاً، فأرجع إلى أمه وقرت عينها به، فالقارئ بعيد عن تلك التفاصيل كلها؛ بسبب الحذف الذي وقع من القصة، مع أن القرآن اكتفى بذكر الإشارات الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته، ووجه القارئ والمستمع إلى مواطن العظة والاعتبار فتبين أن المجال واسع لمثل هذا الحذف، واستشارة للذهن وشحذا لخيال دفع للملل إلى لتصور كل ما حذف، فتذهب على إثره النفوس كل مذهب .

وإذا ما انتقلنا إلى بستان آخر نتفيأ ظلاله ونشم عبير شذا زهره ،نجد قوله عز وجل في هذا الموضوع ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ [1]، فبالتأمل في الآية الكريمة نجد أن الباري سبحانه وتعالى ،قد بدأها بالاستفهام الإنكاري، حيث أنكر على المشركين اتخاذ آلهة من دون الله؛ لا ترجى منها منفعة ولا تخشى منها مضرة، إذن فهي ليست أهلاً لعبادة ولا لطاعة، وأكد أن الإله الحق المتميز بالصفات التي تجعله أهلاً للعبادة، وأهلاً للطاعة وهو الولي وهو القادر على الإحياء والإماتة ،وهو القادر على كل شيء، فإن أرادوا ولياً قادراً على النصرة وتدبير الأمور؛ فذلك هو الله وحده جلت قدرته، وقد حذف الجملة الشرطية، ووجه الأذهان إلى جواب الشرط مباشرةً، وهو قوله {فالله هو الولي}فاقترن الجواب بالفاء، وهو معرف الطرفين بأل التي للتعريف، مع ضمير الفصل {هو}إفادة لقصر الولاية على الله وحده، ونفيها عن كل ما سواه ،إضافة إلى ما أفادته الجملة من تأكيد للمعنى المراد، ويكون التقدير على ذلك {إن أرادوا ولياً بحق فالله هو الولي } فما أجمل هذا الحذف البياني الواقع في كلام ربنا تقدست أسماؤه وسمت كلماته، ولاحظ معي كيف أن الله سبحانه وتعالى جمع بين الإغراق والإحراق بالنار؟ مفاجأً بجمع عذاب الدنيا مع عذاب الآخرة ،فأصبحا كأنهما مقترنان إيقاظاً للأذهان والعقول وتخويفاً من تلك النهاية الأليمة ذلك في قوله عز وجل: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [2]، فالملاحظ أن التعبير جاء بالفعل الماضي مصحوباً بالفاء، التي أفادت التعقيب كما أفادت وأوحت باقتراب العذاب حتى كأنه واقع بهم فعلاً وهي صورة مروعة، جسدت ما وقع بهم فعلاً، وهو الإغراق الذي قضى عليهم جميعاً، فكان على الفور هلاكهم، ثم بعثهم يوم القيامة وخضوعهم للحساب على ما اقترفت أيديهم من معاصي فادخلوا ناراً؛ فهذه الجمل المتعددة التي حذفت من سياق الآية الكريمة وهي الواقعة بين قوله {أغرقوا }وقوله {أدخلوا ناراً}؛ إغراق نتج عنه موت وإغراق في الماء وهو الطوفان، ثم تلا ذلك إحراق بالنار، تخلله ما أشرنا إليه من محذوفات؛ جعلت الكلام في غاية البراعة والجمال، فالحذف هنا شمل جملاً وفقرات متعددة ،وساعد ذلك كله على ترسيخ الإيمان بالله وتوحيده ،وما زاد الحذف أن الكلام لا قوة وتأثيراً، ورأيت ان الأسلوب ما زاد إلا تماسكا وارتباطاً بعضه بحجز بعض دون أن ينقطع خيط الاتصال الفكري فيه.

والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الأساليب، وإننا إذ نتحدث عن ذلك ونورد أدلة من كتاب الله فإننا لا نتخيرها تخيراً فكتاب الله على درجة واحدة من البيان والبلاغة ،وما أوردنا منه إلا ماتيسر لنا منه وبقدر توضيح هذا البيان الراقي.

الذكر والحذف في كلام النبي ﷺ:

بعد هذا نشير إلى البلاغة المحمدية، حينما عرضنا للحذف وجماله الماثل في قول الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه،في قوله محذراً من كثرة الحلف في البيع عن أبي قتادة الأنصاري- رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفِّق ثم يمحق"[3] فحذر سيدنا رسول الله كثيراً من الكذب، وقد بين في حديث أنه

---

[1] سورة الشورى، الآية 9 وما بعدها .

[2] سورة نوح ، الآية 25 وما بعدها .

[3] أبو قتادة الأنصاري هو الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي .مسلم، صحيح مسلم، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، ط/إحياء الكتب العربية حديث رقم 1607

يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وإن كثرة الحلف عادةً ما تجر الإنسان إلى الكذب، وهي ذميمة لحقت بسلوك فاعلها، أسهمت في نزع هيبة اليمين من قلبه، فلا يكون لها تأثير على نفسه، وكثيراً من الناس _ إلا من رحم الله تعالى _ اعتادوا كثرة الحلف في الحق وفي الباطل من أجل ربح بسيط، وهو أي الحالف يغري بيمينه المشتري، ناسياً أو متناسياً قول الرسول ﷺ فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:" الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة"[1] ، فيستهل الرسول الأعظم ﷺ قوله محذراً للأمة، بقوله "إياكم" محذراً من الحلف وما يجره من عواقب وخيمة، فإن الحالف وإن سلم من ذلك لم يسلم من الحنث والندم على فعلته، ثم إنه كذلك لم يسلم من مدح سلعته وإعلاء شأنها وذلك ما فيه من التغرير بالمشتري، فيقدم على السلعة ويشتريها وهو غافل وقد يكون كلام البائع لا وجود له أصلاً ولا أساس له، ثم إن مما ينبغي الالتفات إليه في حديث رسول الله ،تلك الدرر التي نثرها الحبيب ﷺ في أسلوبه الجميل الراقي السامي عندما قال _وهو الذي لا ينطق عن الهوى :"ينفق _يمحق" ولم يذكر فاعلاً ولا مفعولاً.

فالحذف هنا له دلالته، ومما زاد من جماله وقوة سبكه أن المحذوف معلوم عند السامعين، ولذلك فهم يذهبون فيه كل مذهب، وهذا الأسلوب يعد من الأساليب التي رفعت من شأن البلاغة، قال عنه الإمام عبدالقاهر الجرجاني، في كتابه دلائل الإعجاز ما نصه هو: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن)) [2].

فالحذف هنا من روائع هذا الحديث، ورسول الله ﷺ هو أفصح الناس لساناً وأجملهم أسلوباً، وقد ذكر حازم القرطاجني بأن الحذف يزيد الكلام قوة ويكون أكثر دلالة على المطلوب بما فيه إثارة للذهن، وشد للعقل ،لأن النفس تذهب فيه كل مذهب وهو إنما يحسن لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهوين على النفوس[3].

فعلى ذلك يكون الحذف أبلغ في الدلالة على المراد بأسلوب بليغ جميل في كلمات موجزة، فمتى أظهرت المحذوف صار الكلام إلى شيء أقرب إلى الغث، ولا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن، إضافة إلى ما تقدم ذكره، فإن من الملاحظ أن الرسول الأعظم قد عبر بقوله: "فإنه ينفِّق ثم يمحق" بالفعل المضارع، والفعل المضارع من معانيه التجدد والاستمرار، وعليه فإن المعنى المراد بالتعبير به أي أن الأمر إذا دام على تلك الحال فإنه يؤذن باستمرار الفعل، ويترتب عليه استمرار العقوبة وخطورة نتائجه على مرتكب الحلف، وإلى هنا وبعد أن دللنا على جمال الذكر والحذف من كلام ربنا جل في علاه، الذي هو أسمى الأساليب البلاغية، ثم رجعنا إلى التدليل على بلاغة الذكر والحذف من أسلوب حبيبنا محمد ﷺ.

الذكر والحذف في كلام الشعراء:

يمكننا أن نسوق دليلاً من كلام الشُّعراء وهو كلام واحد من العرب الذين نزل بلغتهم القرآن وجاء متحدياً لهم فنعرض لقول قديم ونكتفي به، فالشواهد كثيرة تلك التي دلت على بلاغة الحذف، وجمال أسلوبه ،فإذا ما انتقلنا إليه، فإننا سنقف عند قول جميل (بثينه)جميل بن معمر الإيادي:

---

(1) الحديث رقم2087صحيح البخاري، وسنن أبي داوود، وقد ورد الحديث بعدة روايات منها ((ممحقة للكسب))سنن النسائي 4461،ومسند أحمد رقم 7206،ورواية ((ممحقة للربح))الحديث رقم 1606مسلم.

(2) عبد القاهر الجرجاني ، كتاب دلائل الإعجاز، د محمد رشيد رضا ، ط محمد صبيح و أولاده ، 1960م ص 210.

(3) حازم القرطاجي ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت/محمد الحبيب خوجه ط/3/دار الغرب الإسلامي 1986م ص/67

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي مِنَ الحُبِّ قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدُ [1]

فإن القارئ يلحظ ما اعترى ركني الجملة الإسمية من حذف؛ فقد ذكر الشاعر منادياً حبيبته؛ بأن حبه لها قد أوى به إلى القتل من فرط صبابته لها، وهو في هذه الحال أراد أن يفضي لها بما يعتلج في صدره حتى أشرف على الهلاك والموت، فذكر اسمها متلذذاً به، وأردف ذلك بأنها أي بثينة ردت عليه راغبة المزيد ومتطلعة إلى أكثر من ذلك منه، بعد أن حذف المبتدأ وهو الحب إشارة إلى تأكدها منه واطمئنانها إليه، وهي مشغولة بما هو أكثر وطالبة منه المزيد ،ولذلك فهي حريصة على ثبوته، وديمومته؛ فتبين من هذا الحذف؛ ما أضفاه من جمال على الأسلوب، وما رمى إليه من معان أضفاها الحذف؛ زادت الأسلوب جمالاً وروعةً، وقد وقع هذا الحذف في لفظة واحدة، وفي سياق الجملة الواحدة، وبعد هذا التجول بين تلك الرياض النضرة الزاهرة والجنان المعشبة الندية، تنقلنا خلالها من فنن إلى فنن، ومن روضة إلى روضة، تنسمنا عبيرها، وارتشفنا رحيق أزهارها اليانعة، حرى بنا بعد هذه الجولة السريعة أن نخلص إلى الخلاصة التالية .

[1] جميل بن معمر الإيادي، ديوان جميل ، دار عمار ، عمان ، د/ت ، ص 18.

الخلاصة:

فيما يخص أسلوب الذكر والحذف وقفنا عند روعة هذا الأسلوب، وعند دوره البالغ في الإشارة إلى المطلوب بتمكنه في نفس المخاطب، وإفساحه المجال أمامها؛ لتذهب فيه كل مذهب، فقد قالوا قديماً عن تعريف البلاغة بأنها كلام قليل ومعان جليلة كثيرة.

فالأصل في الكلام أن تذكر أجزاؤه التي تؤدي معناها تامة ودون حذف.

ثم إن الحذف لا يعد حذفاً بلاغياً، إلا إذا ساعد على الإيحاء بمعان ومشاعر الكلام قوة وتأثيراً، وأمكن مع ذلك ربط الكلام بعضه ببعض، دون أن ينقطع خيط الاتصال الفكري فيه .

إن الحذف لا يأتي ولا يكون إلا لغرض بلاغي، له روعته ،وجماله، وقد يكون في حرف من كلمة، أو في كلمة من جملة، أو في جملة أو يكون جملاً وفقرات متعددة، قال ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[1] ، فالحذف قد وقع بين قوله تعالى (فكذبوه)وقوله جل وعلا (فنجيناه) فبينهما أي بين كذبوه ونجيناه، أحداث كثيرة ذكرت في آيات أخرى نزل بها القرآن الكريم حذفت هنا، وذلك لإثارة توافق نفس المخاطب فتذهب بها كل مذهب، وعند تأملك للآيات تجد أن المحذوف تضمن العديد من الفقرات والأحداث ومن بينها أمر الله له أي لنوح أن يصنع الفلك ثم بعد فراغه من الصناعة، أمره أن يسلك فيها من كل زوجين اثنين ثم بعد ذلك ينتظر حتى فوران التنور، ثم بعد ذلك عموم الأرض بالماء جراء الطوفان، وما اشتمل عليه من أحداث ذكرت تفصيلاً في غير هذا الموطن ،ولك أن تتخيل كل ما جرى وحدث تفصيلاً، ثم انظر إلى هذا الإيجاز الرائع والأسلوب الجميل المفعم بالبلاغة وقوة السبك وطلاوة المعاني، ولا يخفى على القارئ، أو السامع ما تخلل ذلك كله من حوار بين نوح وابنه، وبين الخالق عز وجل وبين نوح بشأن ابنه كل ذلك يدخل في إطار الإيجاز بالحذف، وماله من روعة وجمال أخاذ.

[1] سورة يونس، الآية 71وما بعدها .

الخاتمة:

الحمد لله على نعمائه والشكر له على فضله وإحسانه ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. فبعد هذه الجولة يسعدنا أن نقف عند هذه النتائج من بينها :

تبين من خلال الدراسة وإن لم نتعرض لذلك في ثنايا البحث ان العربية تحوي أنماطا متعددة من الحذف فهي لا تكتفي (بالاستكثار من الحذف ، ولكنها تنوعه أيضا حتى لو قال قائل : إن العربية هي لغة الحذف ما كان عليه من ذلك بأس" [1]

- تبين أيضا أن الحذف لا يحسن في جميع الأحوال ، إذ ينبغي ألا يكون هناك غموضا في المعنى أو فسادا في التركيب ، لذلك يجب ان يتأكد المرسل من وضوح المحذوف في ذهن المتلقي ، وبالإمكان تخيله

كذلك فإن الحذف يستمد أهميته من حيث لا يورد المنتظر من الألفاظ ، ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه وتحفزه على تخيل المقصود.

- كما تبين لنا ان الحذف البلاغي يختلف عن الحذف النحوي فبحث البلاغيين يرون أن إيجاز الحذف ينبغي ألا يؤدي إلى غموض المعني ، إذ بالحذف تكون صورة الجملة مؤدية للمقصد البلاغي ، وبالحذف تحدث عملية إشراك للمتلقي في الخطاب الموجه إليه ، وبذلك يكون الحذف عندهم أبلغ من الذكر ، لأن الذكر هو مسير على المألوف ، والمألوف هو ما لا إثارة له .
- أما النحويون فيبحثون الحذف من حيث جوازه وعدمه ، فمنه ما يجوز حذفه كتمييز (كم) الاستفهامية إذ دل عليه دليل وكذلك حذف حرف الجر (رب) والإبقاء على عمله ولم يجيزوا حذف الفاعل ونائبه لأنهما عمدتان ، وأجازوا حذف المكملات للجملة كالمفاعيل وعلى كل حال فإن الحذف يكون في ظاهر اللفظ ولا يكون في ذهن المتلقي ، فالحذف عند البلاغيين والنحويين ليس نفيا مطلقا للمحذوف وإنما هو عدم ظهوره في البناء الظاهري للجملة ، يؤيده قول ابن مالك في ألفيته :

وَحَذْفُ ما يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا تقول (زَيْدٌ) بَعْدَ (مَنْ عِنْدَ كُمَا ؟)

هذا وعلى الله قصد السبيل ...

[1] مجمع اللغة العربية ، كتاب الألفاظ والأساليب ، القاهرة: 1977 ص 232.

مصادر البحث ومراجعه

كتاب الله الخالد القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ج4.

2- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط دار الكتب المصرية د، ت.

3- الراغب الأصفهاني، المفردات، ط/دار القلم، دمشق/1992م

4- طرفة بن العبد ، ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، 1989م .

5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت:محمد رشيد رضا، ط/مكتبة الخانجي القاهرة 1984 م.

6- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت:محمد رشيد رضا، ط/6/محمد علي صبيح/1960م.

7- د/فاضل السامرائي، التعبير القرآني؛ دار عمار، عمان، 1998م.

8- د/ فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط/دار عمار، عمان، 1999م

9- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، ج9، ص 222، 234.

10- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت/محمد نزار تميم، ط/دار الأرقم، بيروت،1998م.

11- مسلم بن حجاج النيسابوري؛ صحيح مسلم، ت/محمد فؤاد عبد الباقي، ط/إحياء الكتاب العربي.